دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	سيدة أردنية تطور في الثوب وتستظل بالتراث : مريم مراد : لا خطر من الموضة وأسنان الماكينة على فرح الفتاة بعروق الثوب
المصدر:	أقلام جديدة
الناشر:	الجامعة الأردنية
المؤلف الرئيسي:	أبو خاص، نسرين
المجلد/العدد:	ع 26
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2009
الصفحات:	150 - 157
رقم MD:	190300
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الموضة، مراد ، مريم، التراث الشعبي، الأثواب الأردنية، الأزياء الأردنية، أزياء المرأة، ملابس المرأة، زينة المرأة، التطريز، الحاسبات الإلكترونية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/190300

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

فنون

سيدة أردنية تطور في "الثوب".. وتستظل بالتراث

مريم مراد: لا خطر من "الموضة"

وأسنان "الماكينة" على فرح الفتاة بعروق الثوب!

حاورتها: نسرين أبو خاص*

****

.. تعكف على إحياء التراث بالثوب. وتجمعه. وتطوره بتصاميم عصرية تتناغم وروح العصر وتنسجم ومتطلبات السيدة العصرية، وفي الوقت ذاته تبقي عليه مشرباً بعبق التراث، وزاخراً بزخرفات الأمهات والجدات!

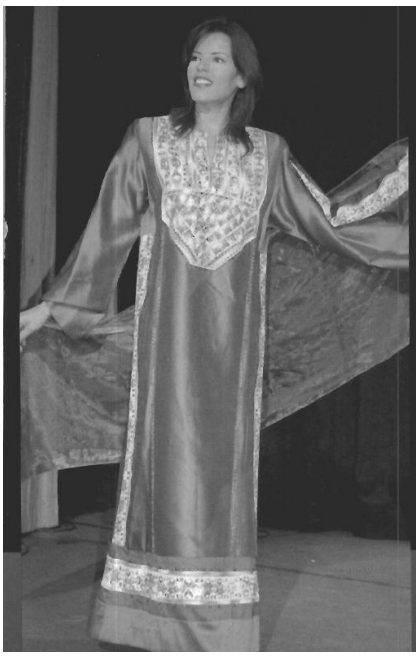

مريم مراد مهاني، المعلمة في وكالة الغوث، الحاصلة على ماجستير الرياضيات، قصت على مجلة "أقلام جديدة" حكايتها مع الثوب، في هذا اللقاء:

-كيف بدأت الفكرة؟.. وهي فكرة تحتاج تفرغاً ومتابعة؟!

بعد مهنة التدريس، أحسست بفراغ كبيرة؛ ولاسيما أن وقتي كان يضج بالحركة والتدريس والنشاطات التطوعية، فبدأت أفكر بمشروع أحبه؛ أساعد من خلاله السيدات اللاتي يرغبن بالعمل؛ ولا يستطعن الخروج لسوقه، إما لعدم توفر فرص العمل، أو لكثرة الأعباء المنزلية، أو لأن تقاليدهن لا تسمح لهن بمغادرة المنزل، وقد آلمني أنهن يحتجن إلى المردود المادي لإعالة أسرهن.

وكما تعلمين فإن السيدة عندما تعمل في منزلها تختار ما يناسبها من وقت ترتاح فيه بمزاج رائق وهمة واثقة، وبال متزن.

ولذلك قررت أن أبدأ بمهنة التطريز، وفعلاً جمعت عدداً لا بأس به من الأثواب، وتتبعت أي قطعة تراثية أسمع عنها، ولدي الآن مجموعة مرضية من المقتنيات التراثية. ولم أكتف بذلك بل قرأت كتباً تختص بالتراث وتوثيقه، وتبحث في تاريخ القطع التراثية وما يتعلق بها.

– لم تقفي عند التكرار؛ بل عمدت إلى التطوير والابتكار.. ما الذي تستندين إليه في ذلك؟!

أذكر أنني طرزت قطعاً صغيرة من مثل: الوسائد و"الكوسترز"، ثم وجدت نفسي أطور في تطريز "الشالات" والأثواب، ولأنه ليس من الهين الاشتغال على ثوب فقد كنت دقيقة جداً في الانتباه والملاحظة.

ولما توسعت الفكرة وأغناها إخلاصي لها وعكوفي عليها، كان عدد السيدات اللاتي يشتغلن بهذه المهنة معي، أو ما يسميهن بـ"الطرازات"، يصل إلى 300 سيدة حالياً، وهؤلاء ثابتات تقريباً، ومعظمهن يعملن معي منذ مدة طويلة، وقد راعيت في اختياري لهن أن يتوزعن على محافظات المملكة كافة.

"عندما تعمل السيدة في المنزل تعمل بمزاج سوي وبال رائق متزن"

– لماذا؟!

لأن الشرائح تمدني بكل ما هو مثير وجديد، ولأنني بهذا أخدم هؤلاء السيدات ببيئاتهن المتنوعة، ولهذا تربطني بهن مشرفات يوزع العمل من خلالهن، وهذا لا ينفي أن بيني وبينهن– الطرازات– علاقة وطيدة وألفة وتشاور؛ ويكفي أنني أعرف همومهن ومشكلاتهن، وأعمل قدر المستطاع على حلها.

– هل يتعدى دورك الإشراف على بناتك، المشرفات على في المشروع، إلى التوجيه بالخبرة ومراكمة النوع؟!

بعد أن سلمت بناتي كل مهامي، ودربتهن جيداً، وقد اتبعت في سبيل ذلك وسيلة "التجربة والخطأ"؛ صرن اليوم يعملن على تطوير المهنة وتوثيقها، ولا أبخل عليهن بما عندي، وقد أستفدن كثيراً من هذا التعلم المريح؛ فمن لا يخطئ لا يتعلم. وآمل أن تستمر المهنة، ويحافظن على ما تعبت لأجله.

– كيف يعبر الثوب عن منطقته؟!.. وكيف تتشابه أثواب المنطقة بمجموعها، وتمتاز بخصوصية بيئاتها؟!

في تطريزي للثوب أقوم بعمل نسخ عن الأثواب التراثية بصيغتها الأصلية النقية؛ فهناك أثواب تتنوع تبعاً للمناطق الأردنية والفلسطينية، فعلى سبيل المثال– لا الحصر: يمكن أن نرى ثوباً خاصاً بالقدس، وآخر ببيت لحم، وثالثاً ببئر السبع، ورابعاً بجلحول، وخامساً خاصاً بيافا، والحال ذاتها تنطبق على الثوب الأردني، فلكل محافظة ثوب خاص بها: ثوب عجلون، وثوب جرش، وثوب معان، وثوب الرمثا، وهكذا.. وأحيانا يمكن أن يختص الثوب بقبيلة معينة ومثال ذلك ثوب العدوانية "نسبة إلى عشيرة العدوان"، كما أن كل ثوب تميزه رسومات معينة عن سواه، وأغلبها تستمد من البيئة وما تشتهر به هذه المنطقة؛ فمثلاً ثوب الخليل تكثر فيه عروق الدوالي نظراً لكثرة زراعة العنب وشجر الدوالي في المدينة.

وهناك تشابه بين الأثواب الفلسطينية والأردنية؛ كالتشابه الحاصل بين أثواب الشمال والوسط والجنوب، وهي تشترك بسمات، ولكنها، أيضاً، تتميز عن بعضها، فإذا نحن تتبعناها وجدنا أن الألوان الزاهية والفاتحة تزداد في الشمال، في حين أن الألوان تميل بشكل واضح إلى القتامة في الجنوب، باستثناء محافظة معان التي تميزت بثوبها عن بقية المناطق والمحافظات: لأنها كانت طريق تجارة وممر قوافل، وكانت تعتمد على ما يتيسر لها من الباعة المتجولين.

– أخبرتني أن الثوب قديماً كان يعبر عن الطبقة الاجتماعية!.. هل ما يزال ذلك جارياً في عصر "الموضة"؟!

يمكنني القول إن الثوب مؤشرا جغرافي واجتماعي على منطقته؛ فقد كانت تعرف أصول السيدة من ثوبها، كما كانت تدلل بثوبها على الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، فكلما زادت كثافة التطريز والعروق في الثوب دلت على ثراء السيدة، ومن الثوب كانت تعرف السيدة المتزوجة والعزباء، والأرملة. وطبعاً فإن هذا كان قديماً، وبمرور الزمن والتزاوج والترحال بين سكان المناطق المختلفة، فضلا عن الاحتلال والتهجير الذي حصل على عدة مراحل، اندمجت هذه الأثواب، وتم تطعيمها بالرسومات، فقد أصبح الثوب أشبه بـ "كوكتيل"؛ ولم يعد يدل على منطقة جغرافية محددة كما كان الحال في الماضي.

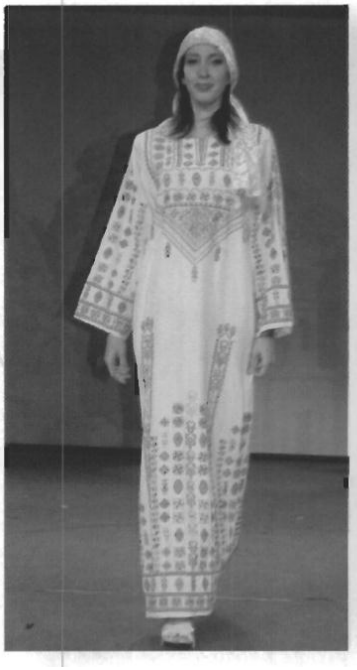

– كيف كانت الفتاة تفرح بالثوب؟!.. في ليلة زفافها!.. و"حنائها" وفي المناسبات؟!

ومن العادات التي كانت سائدة أيضاً، وتعبر عن معايشة التراث يومياً، أن جهاز العروس قديماً كان يحتوي على عدة أثواب: ولكل مناسبة ثوب، وكانت قريبات العروس يساعدنها في تطريز هذه الأثواب، لأن إنجاز ثوب واحد يستغرق مدة زمنية طويلة وجهداً كبيراً؛ فكان لدى الفتاة ثوب لليلة الزفاف، وآخر لـ"الحنة"، وثالث للاستعمال اليومي، ورابع للمناسبات، وقد سمعنا أن الفتاة يكون بحوزتها ما يقارب الخمسة عشر ثوباً!

– لم تشتغلي إلا على ثوب المرأة، هل فكرت بالاشتغال على "القمباز" و"الكوفيه"؟!

تعلمين أن ملابس الرجال التراثية، وهي ما نسميها بـ "القمباز" و"الكوفية"، لم يكن يتخللها التطريز، ولم يخطر لي تطريز ملابس الرجال وهو ما أشتغل عليه في أثواب النساء، ومن يدري ربما يكون ذلك في أوقات مقبلة، ومع ذلك فقد طرزت أثواباً للأطفال.

– كيف تحفظين الموروث بالإضافة عليه؟!.. وهل أثمر "التجريب" عن جديد؟!

بعد مرحلة توثيق التراث والحفاظ على الأساسيات اشتغلت على نسخ مطابقة تماماً للأثواب هذه، ثم انتقلت إلى مرحلة البناء على هذه الموروثات بتطويرها خلقاً وابتكاراً، ولدي أثواب عصرية تتماشى وروح العصر؛ وتحافظ في الوقت نفسه على روح التراث. وأستطيع القول إنني رسخت جذور وأساسيات فن التطريز بتثبيت أصوله التراثية، فطورت في "القطب" في استعمالاتها، وكذلك في الأقمشة وأنواع الخيوط الألوان؛ فكان اللون الأسود للقماش هو الثابت في جل الأثواب؛ مع إمكانية بروز اللون.

في مشواري مع التطريز الذي قارب على ربع قرن، وبعد أن أنجزت العديد من الأثواب التقليدية بنسخها الأصلية وحفظتها نقية، كنت "أجرب" بتصاميم تراثية عصرية، وكنت أعمد إلى عمل نماذج مصغرة لتجريب التصميم والألوان التي اختارها؛ فالتجريب بثوب كامل أمر مرهق ومكلف، ويحتاج إلى وقت طويل، وحينما يخطر ببالي تصميم أسعى لتطبيقه، ولكن أرجو العلم أن إنجاز ثوب واحد قد يستغرق ما بين تصميم وتنفيذ سنة كاملة وأحياناً أكثر!

– هل أخذتك نشوة "الاسم" أو النجاح إلى الترخص– ولو قليلاً– في النوع لصالح "الكم"؟!

لا أعتمد في عملي على الطلب من زبائني؛ فأنا أنفذ كل ما يخطر ببالي، وبالتحديد ما أشعر بأنه سيكون ثوباً مميزاً أو قطعة تراثية فاخرة. ومن خبرتي الطويلة بهذا المجال أصبح لدي تصور مسبق للقطع بمجرد تخيلها وقبل تنفيذها على أرض الواقع، واستناداً إلى هذه الخبرة والتخصص والسمعة التي بناها تجويدي لـ "شغلي" والقطع المميزة التي أقوم بتنفيذها، صنعت لنفسي اسماً مميزاً قوامه الجودة والإتقان، سواء جودة التطريز أو جودة الأقمشة أو جودة الخيوط المستخدمة، وتناسق القطعة وتصميمها وتفصيلها، وكذلك الرسومات ومدى انسجامها مع الألوان، لتتشكل لوحة فنية متكاملة، وهذا ما جعل قطعي وأثوابي علامة مميزة؛ تحتم علي عدم التقليل من جودة هذه الأعمال ولو كانت بطلب من زبائني، كون هذه القطعة ستحمل بصمتي واسمي؛ فلا أنفذ قطعة بجودة قليلة، وأحياناً إذا لم أرض عن طلب زبونة من حيث التفاصيل والرسومات والخامات التي تطلبها أعتذر لها إن لم أحملها مسؤولية هذه القطعة، وهذه الجودة العالية هي أساس احتفاظي بزبائني، فيعدن لاقتناء أثواب جديدة بعد أن لمسن مدى الدقة والجودة من خلال أثواب اقتنينها قبل عشر سنوات ويزيد، ومازالت بحالة جيدة. فالجودة هي أساس قطعي وميزتها الأساسية بغض النظر عن السعر.

".. تتسارع الحياة، ودخول عصر (الكمبيوتر) والماكنات في التطريز والموضة والزي العصري،

– إذا كانت الموضة بما فيها من "تنانير" و"بنطلونات" تفرض نفسها!.. كيف تتأقلمين مع هذا الوضع؟!

نحن في خلق دائم وتطوير وتطعيم للأصالة بالمعاصرة، وأجاري الموضة بما ينسجم وروح الأثواب التقليدية، كي أجذب الجيل الجديد لارتداء الأثواب، فمن الصعب أن نجعل الصبايا يرتدين الثوب التقليدي بصورته الأصلية بعد أن واكبن الموضة من "بنطلونات" و"تنانير"؛ فلابد من إضفاء روح العصر مع الإبقاء على الأصالة والتراث حاضرين بشكل واضح ومقبول.

أهم ما عندي المحافظة على التراث، وأن يبقى الثوب في صيغته الأصلية، وأن يبقى تراثياً أبداً. فالتراث ملك للجميع وحافظ لنفسه بمرور الزمن الذي أثبت هوية هذه الأثواب وجذورها، وأكد أنه وليدة العصور، وأنها جزء من التاريخ والمجمعات، ولكني أضيف على هذه التصاميم التقليدية مسحة من روح العصر؛ فأغير بالألوان وطريقة الرسومات وتشكيلها، وأغير بالألوان والأقمشة والخيوط وتفاصيل الثوب والأكمام، وأحياناً أمزج الرسومات والقطب وما بين أثواب متنوعة. ولكني مع ذلك أميل إلى الحفاظ على التراث على حساب الموضة، ومجموعاتي دائماً تحتوي على التقليدي التراثي والمطور المعاصر؛ فأساس هذه المهنة أو الحرفة هو الضمير ورو المسؤولية في حفظ التراث.

هناك تشابه بين الأثواب الفلسطينية والأردنية؛ كالتشابه الحاصل بين أثواب الشمال والوسط والجنوب

– هل تكفي جملة ما تضعينه من خطط لمواجهة مستجدات تنافس المهنة؟!

لا أضع خططاً طويلة الأمد، ولكن في نهاية فصل الصيف وما بين شهري أيلول وتشرين الأول تقريباً أضع تصوراً مسبقاً موجزاً عن طبيعة الأثواب التي أنوي إنجازها، وأحسب عدد القطع من كل نوع، وأراعي المناسبات المختلفة، عيد الأم؛ وكم أفرح حين تشتري الهدايا للأمهات والجدات؛ فالثوب أو "الشال" من الهدايا القيمة المحبوبة لدى سيدات مجتمعنا.

خفض من الإقبال على التراث"

إلا أن تسارع الحياة وانشغال الناس، ودخول عصر "الكمبيوتر" والتطريز واستخدام "الماكنات"، فضلا عن الموضة وما جلبته من أزياء عصرية جاهزة بأقل كلفة في معظمها، جعل كثيراً من النساء يعزفن عن التطريز، ويمكن رد ذلك إلى أن عزوفاً بات واضحاً في ارتداء هذه الأثواب، ومجهوداً كبيراً يبذل في إنجازها، مقارنة بالمردود الضئيل إذا ما قورن بالجهد والوقت المستغرق في ذلك.

– لابد أنك تفرحين بفتاة تقبل على "الثوب".. ولابد أن لذلك معنى؟!

نشهد هذه الأيام شيئاً من رد الاعتبار للتراث، فبعد أن مر بمرحلة صعبة، يفرحنا أن نشهد إقبالاً كبيراً على الملابس التراثية، وعودة إلى الأثواب، ولو أن الإقبال في جله على الأثواب المعاصرة، إلا أن ما يفرحنا، أيضاً، أنها رغم معاصرتها تحمل التراث في هيئتها النهائية، فنجد الصبايا من مختلف الأعمار يقبلن على الأثواب والمطرزات، ويحرصن عليها في الأعراس وحناء العروس وغيرها من المناسبات المختلفة، فالعروس تحرص على أن يحتوي جهازها على ثوب، بل إن عرائس أصبحن يلبسن الثوب بدلاً من الفستان الأبيض في أعراسهن، مما يدل على إحياء التراث، وربما ساعد الثوب بصيغته المعاصرة في عملية الإحياء هذه، لاسيما أن العديد من "فساتين" السهرة أدخل إليها التطريز الفلاحي فحملت المعنيين معاً، وكذلك أثواب الأطفال.

– وكيف تحفظين ما بذلت له نور عينيك من أن يسرق أو يضيع؟!

حفظي أعمالي وابتكاراتي والأثواب التي أصممها يكون بتوثيقها، وتصويرها بكل تفاصيلها وحفظها إلكترونيا بأقراص مدمجة، وهذا ما تقوم به بناتي حالياً. وطبعاً بالإضافة إلى عمل عدة نسخ من هذه الأثواب لتقتني كل واحدة منهن نسخة منه فلا يندثر ما نقوم به بمرور الزمن.

وكنت من باب المحافظة على هذه المهنة من الاندثار، وآملاً باستمرارها عند الأجيال القادمة ما أزال أشجع "الطرازات" على تعليم بناتهن بإهدائهن خامات وخيوطاً وقطع قماش بسيطة لتشجيعهن على تعليم التطريز، ولكي تتوارثها الأجيال؛ فلا تندثر.

((سلمت مشروعي لـ "بناتي" وهن يعملن على تطويره ويجربن مستظلات بالتراث))

ولكل رسمة ثوب تقريباً جذر تاريخية، وأحرص دائماً على تتبع هذه الرسومات ومعرفة جذورها، وهنالك العديد من الكتب التي وثقت ذلك، ومن المهام التي تقوم بها بناتي حالياً تتبع الرسومات حتى أصولها وعمل تعريف للأثواب وتحليل للرسومات. ويكون ذلك بالاستعانة بالتوثيق السابق والزيادة بالاتصال المباشر بالسيدات المسنات، اللاتي عاصرن هذه الأثواب وعلمن تفاصيلها و"عروقها"؛ وأذكر أن رسومات يمكن أن نردها إلى العهد الكنعاني.

– بعد كل هذا التصميم.. وكل هذا النجاح!.. ماذا تقولين؟!

بالعلم والإيمان صنعت اسمي فقط، والموهبة هي البذرة الأساسية، ومشروعي قام وما يزال على مجهود شخصي، فلم يدعمني أحد أو جهة، ولا فضل لأحد على عملي إلا الله الذي مدني بالعزم والمثابرة وتتبع التراث، ولا أنسى السيدات اللاتي يعملن معي؛ فهن شريكات بهذا النجاح، كما أني أدعو الله أن يحفظ مشروعي بجهد بناتي وسعيهن للمحافظة عليه، علماً أنهن حاصلات على شهادة الدراسات العليا مثلى، إلا أن اللون والخيط جذبهن، فكن عوناً لي، وأخلصن لهذه المنمنمات الأصيلة حرصاً من هذا الجيل الشاب على روح التراث العربي.